خطبة الأسبوع

أسباب الفلاح

(نسخة للطباعة)

قناة الخُطَب الوَجِيْزَة
https://t.me/alkhutab

الخُطْبَةُ الأُوْلَى

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ونَتُوبُ إِلَيه، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْد: فَأُوْصِيكُمْ ونَفْسِي بِأَنْ تَجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وبَيْنَ عَذَابِ اللهِ وِقَايَة: بِفِعْلِ الوَاجِبَات، وتَرْكِ المُحَرَّمَات، والمُسَارَعَةِ في الخَيْرَات؛ ﴿**فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾.

عِبَادَ اللهِ: هَذِهِ ثَلَاثُ وَصَايَا نَبَوِيَّة، جَمَعَتْ أُصُولَ الفَلَاح، ولَخَّصَتْ أَسْبَابَ النَّجَاح؛ قال ﷺ: (**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**)[1].

وفِي هَذَا الحَدِيثِ العَظِيمِ: بِشَارَةٌ بِالفَلَاحِ، لِمَنْ جَمَعَ هَذِهِ الثَّلَاث! **والفَلَاحُ**: كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ لِخَيْرَيِ الدُّنيا والآخِرَة، وَاسْمٌ جَامِعٌ لِحُصُوْلِ كُلِّ مَطْلُوبٍ **مَحْبُوب**، وَالسَّلَامَةِ مِنْ كُلِّ مَخُوفٍ **مَرْهُوب**![2]

وأَوَّلُ أَسْبَابِ الفَلَاح: هُوَ الهِدَايَةُ إِلى دِيْنِ الإِسلام؛ كما قال ﷺ: (**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ**).

---

[1] رواه مسلم (1054).

[2] انظر: بهجة قلوب الأبرار، السعدي (167).

فَالإِسْلامُ هُوَ رَأْسُ مَالِكَ، وأَصْلُ نَجَاتِكَ، وهُوَ دُسْتُورُ الأَنَامِ، وجَوَازُ العُبُورِ إلى دَارِ السَّلام! ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخاسِرِينَ﴾.

وَمَنْ رَكِبَ سَفِينَةَ الإِسلام: نَجَا وَسَلِمَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا؛ هَلَكَ وَنَدِم! قال ﷻ: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾. قال مجاهد: (ذَلِكَ وَهُمْ فِي النَّارِ، حِينَ يَرَوْنَ أَهْلَ الإِسْلَامِ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بِإِسْلَامِهِمْ!)[3].

وَمَنْ وَجَدَ الإِسلام؛ فَمَاذَا فَقَد؟! ومَنْ فَقَدَ الإسلام؛ فَمَاذَا وَجَد؟! قال ﷺ: (إِنَّ اللهَ ﷻ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لا يُحِبُّ، وَلا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّ؛ فَمَنْ أَعْطَاهُ اللهُ الدِّينَ؛ فَقَدْ أَحَبَّهُ!)[4].

والسَبَبُ الثَّانِي مِنْ أَسْبَابِ الفَلاح: هو الكفافُ؛ كما قال ﷺ: (وَرُزِقَ كَفَافًا).

والكَفَافُ: هُوَ حُصُولُ الإِنْسَانِ على ما يَكْفِي حَاجَتَهُ مِنَ الرِّزْقِ الحَلَالِ، وَيكُفُّهُ عَنْ ذُلِّ السُّؤَال[5]. قال القُرطُبي: (هُوَ مَا يَكُفُّ عَنِ الحَاجَاتِ، وَيدْفَعُ الضرورات، وَلَا يُلْحِقُ بِأَهْلِ التَّرَفُّهَاتِ)[6].

---

[3] البعث والنشور، البيهقي (77).

[4] رواه أحمد (3490)، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (714).

[5] انظر: مرقاة المفاتيح، علي القاري (8/ 3234).

[6] انظر: فتح الباري، ابن حجر (11/ 275)، شرح السيوطي على مسلم (3/ 137).

* **فائدة**: كان مِنْ دُعَاءِ النبيِّ ﷺ: (اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا): أَي اكْفِهِمْ مِنَ الْقُوتِ بِمَا لَا يُرْهِقُهُمْ إِلَى ذُلِّ الْمَسْأَلَةِ، وَلَا يَكُونُ فِيهِ فُضُولٌ تَبْعَثُ عَلَى التَّرَفُّهِ، والرُّكُونِ إلى الدنيا. انظر: المصدر السابق.

والكَفَافُ سَبَبٌ لِلسَّلامَةِ مِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الغِنَى، وشَرِّ فِتْنَةِ الفَقْر! قال بَعضُ العُلَمَاء:

(حَالَةُ الكَفَافِ: حَالَةٌ سَلِيمَةٌ مِنَ الغِنَى المُطْغِي، والفَقْرِ المُؤْلِم)[7].

النَّفْسُ تَجزَعُ أَنْ تَكُونَ فَقِيرَةً

والفَقْرُ خَيرٌ مِنْ غِنًى يُطْغِيهَا

وغِنَى النُّفُوسِ هُوَ الكَفَافُ فَإِنْ أَبَتْ

فَجَمِيعُ مَا فِي الأَرْضِ لا يَكْفِيْهَا!

والسَّبَبُ الثَّالِثُ مِنْ أَسْبَابِ الفَلاحِ: هُوَ القَنَاعَةُ؛ كما قال ﷺ: (وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ).

والقَنَاعَةُ: هِيَ الكَنْزُ الحَقِيْقِيُّ، وصَاحِبُهَا أَغْنَى النَّاسِ، وَإِنْ كانَ حَافِيَ القَدَمَيْنِ!

قال ﷺ: (لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ -أي المال-، ولَكِنَّ الغِنَى: غِنَى النَّفْس)[8].

---

[7] فتح الباري، ابن حجر (11/ 275).

[8] رواه البخاري (6081)، ومسلم (1051). قال العلماء: (لَيْسَ حَقِيقَةُ الغِنَى: كَثْرَةَ المَالِ؛ لأَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ لَا يَقْنَعُ بِمَا أُوتِيَ؛ فَكَأَنَّهُ فَقِيرٌ لِشِدَّةِ حِرْصِهِ! فَيَنْبَغِي أَنْ يُنْفِقَ أَوْقَاتَهُ فِي الغِنَى الحَقِيقِيِّ: وَهُوَ تَحْصِيلُ الكَمَالَاتِ، لَا فِي جَمْعِ المَالِ فقط؛ وَإِنَّمَا يَحْصُلُ غِنَى النَّفْسِ بِغِنَى الْقَلْبِ: بِأَنْ يَفْتَقِرَ إِلَى رَبِّهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، فَيَتَحَقَّقُ أَنَّهُ المُعْطِي المَانِعُ، فَيَرْضَى بِقَضَائِهِ، وَيَشْكُرُهُ عَلَى نَعْمَائِهِ، وَيَفْزَعُ إِلَيْهِ فِي كَشْفِ ضَرَّائِهِ؛ فَيَنْشَأُ عَنِ افْتِقَارِ القَلْبِ لِرَبِّهِ: غِنَى نَفْسِهِ عَن غَيْرِ رَبِّه. وَالْغِنَى الْوَارِدُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فأغنى﴾ يَتَنَزَّلُ على غِنَى النَّفْسِ؛ فَإِنَّ الآيَةَ مَكِّيَّةٌ، وَلَا يَخْفَى مَا كَانَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ قَبْلَ أَنْ تُفْتَحَ عَلَيْهِ خَيْبَرُ مِنْ قِلَّةِ المَال).

فتح الباري، ابن حجر (11/ 272-273). بتصرف

وَكَمْ مِنْ صَاحِبِ ثَرْوَةٍ، وقَلْبُهُ فَقِيرٌ مُتَحَسِّر، وَكَمْ مِنْ فَقِيرِ ذَاتِ اليَدِ، وقَلْبُهُ غَنِيٌّ رَاضٍ، قَانِعٌ بِرِزْقِ الله![9] قال ابنُ حَزْم: (مَنِ اكْتَفَى بِقَلِيْلِهِ عَنْ كَثِيرِ مَا عِنْدَكَ؛ فَقَدْ سَاوَاكَ فِي الغِنَى، وَلَو أَنَّكَ قَارُون!)[10].

وَمَا زَادَ مِنَ المَالِ عَنْ حَاجَتِكَ؛ فَهُوَ مُجَرَّدُ أَرْقَامٍ، إِلَّا لِمَنْ صَرَفَهُ فِي وُجُوهِ الخَيْرِ! فَفِي الحَدِيْث: (هَلَكَ المُكْثِرُونَ، إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا، وقَلِيلٌ مَا هُمْ!)[11].

وَقَدْ عَزَّ مَنْ قَنِعَ، وَذَلَّ مَنْ طَمِعَ! قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ: (إِذَا طَلَبْتَ الغِنَى: فَاطْلُبْهُ بِالقَنَاعَةِ؛ فَإِنَّهَا مَالٌ لَا يَنْفَد، وَإِيَّاكَ وَالطَّمَعَ؛ فَإِنَّهُ فَقْرٌ حَاضِرٌ)[12].

هِيَ القَنَاعَةُ فَالْزَمْهَا تَعِشْ مَلِكًا

لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا إِلَّا رَاحَةَ البَدَنِ

وَانْظُرْ لِمَنْ مَلَكَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا

هَلْ رَاحَ مِنْهَا سِوَى بِالقُطْنِ والكَفَنِ

والمالُ لا يَنْفَعُ صَاحِبَهُ إِلَّا إِذَا تَوَفَّرَتْ فِيهِ ثَلَاثَةُ شُرُوط:[13]

---

[9] انظر: بهجة قلوب الأبرار، السعدي (167).

[10] مداواة النفوس (94). قال ﷺ: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ؛ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا!). رواه الترمذي (2346)، وحسَّنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (127).

[11] رواه أحمد (8085)، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (826).

[12] غذاء الألباب، السفاريني (2/ 535).

[13] موسوعة فقه القلوب، د. محمد التويجري (4/ 3272).

الأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ حَلَالًا. **الثَّانِي**: أَلَّا يَشْغَلَهُ عَنِ الآخِرَة. **الثَّالِثُ**: أَنْ يُؤَدِّيَ حَقَّ الله فِيه. قال ابنُ بَاز: (**يَجِبُ أَنْ يَكُونَ حُبُّ المالِ مُقَيَّدًا بِالشَّرِيْعَةِ، فَمَنْ تَقَيَّدَ بِهَا: أَفْلَحَ، وبَارَكَ اللهُ لَهُ فِيمَا رَزَقَهُ، وكَفَاهُ القَلِيْلُ عَنِ الكَثِير**)[14].

والمُؤْمِنُ يُبْغِضُ الحَرَامَ وَلَوْ كانَ كَثِيرًا، ويَقْنَعُ بِالحَلَالِ وَلَوْ كانَ قَلِيلًا، وقَنَاعَتُهُ لا تُقْعِدُهُ عَنْ طَلَبِ الرِّزْق! فَإِنَّ القَنَاعَةَ لا تَعْنِي الكَسَلَ وتَرْكَ العَمَل، وَإِنَّمَا هِيَ **فِعْلُ الأَسْبَابِ** المُمْكِنَةِ المُبَاحَةِ، **والرِّضَا** بِمَا قَسَمَهُ اللهُ؛ قال ﷺ: (**إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ؛ فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ: بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ: لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وكان كالَّذِي يَأْكُلُ ولاَ يَشْبَعُ!**)[15].

والقَنَاعَةُ يَحْتَاجُهَا الغَنِيُّ والفَقِيرُ؛ لأَنَّهَا في القَلْبِ، وليست بِمَا في اليَد!

قال ابنُ القَيِّم: (**مَتَى كَانَ المَالُ في يَدِكَ ولَيْسَ في قَلْبِكَ: لَمْ يَضُرَّكَ وَلَوْ كَثُرَ، ومَتَى كَانَ المالُ في قَلْبِكَ: ضَرَّكَ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ في يَدِكَ مِنْهُ شَيْءٌ!**)[16].

ومَنْ قَنِعَ بِمَا آتَاهُ اللهُ: اطْمَأَنَّ قَلْبُهُ، وطَابَ عَيْشُه؛ ولو لَمْ يَكُنْ في القَنَاعَةِ إِلَّا راحَة القَلْبِ؛ لَكَفى بها![17] قال ﷻ: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً**﴾. قال الحَسَنُ البَصْرِي: (**هِيَ القَنَاعَة**)[18].

---

[14] فتاوى ابن باز (30/ 305). بتصرف

[15] رواه البخاري (1472)، ومسلم (1035).

[16] مدارج السالكين (1/ 463).

[17] انظر: روضة العقلاء، ابن حبان (150).

[18] تفسير البغوي (5/ 42).

وقَلِيْلٌ يَكْفِيكَ، خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يُطْغِيْكَ![19] وجاء في الحَدِيْثِ: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَلُمُّوا إلى رَبِّكُمْ: مَا قَلَّ وكَفَى؛ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وأَلْهَى**)[20].

وقِلَّةُ المالِ وكَثْرَتُهُ: لَيْسَتْ مِعْيَارًا لِلْمُفَاضَلَةِ؛ أو مِقْيَاسًا لِلسَّعَادَةِ؛ فَقَدْ يُعَاقَبُ الفَاجِرُ بِقِلَّةِ المال، وقَدْ يُعَذَّبُ بِكَثْرَتِه! قال ﷻ: ﴿**فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾.

أَقُوْلُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ؛ فَاسْتَغْفِرُوْهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم

الخُطْبَةُ الثَّانِيَة

الحَمْدُ للهِ عَلَى إِحْسَانِه، والشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيْقِهِ وَامْتِنَانِه، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُه.

عِبَادَ اللهِ: فَإِنَّ هَذِهِ الوَصَايَا النَّبَوِيَّةَ الثَّلَاث: (**الإِسْلَامَ، والكَفَافَ، والقَنَاعَةَ**)؛ هِيَ أَبوابُ الفَلاح؛ وَمَنِ اتَّصَفَ بِهَا: حَصَلَ على مَطْلُوبِهِ، وَظَفِرَ بِمَرْغُوبِه[21].

قال السِّعْدِي: (**هَذِهِ الثَّلَاث: جَمَعَتْ خَيْرَ الدِّيْنِ والدُّنيا؛ فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا هُدِيَ لِلْإِسْلَامِ، وحَصَلَ لَهُ الرِّزْقُ الَّذِي يَكْفِيْهِ، ويَكُفُّ وَجْهَهُ عَنْ سُؤَالِ الخَلْقِ، ثُمَّ تَمَّمَ اللهُ عَلَيْهِ: بِأَنْ قَنَّعَهُ بِمَا آتَاهُ؛ فَقَدْ حَصَلَتْ لَهُ حَسَنَةُ الدُّنيا والآخِرَة**)[22].

---

[19] ولو لم يَكُنْ في **التَّقَلُّلِ** إِلَّا خِفَّةُ الحساب؛ لَكَفَى بِهِ فَضْلًا. انظر: عدة الصابرين، ابن القيم (202).

[20] رواه أحمد (21721)، وصحَّحه الحاكم في المستدرك (3662).

[21] انظر: فتح الباري، ابن حجر (11/ 275).

[22] بهجة قلوب الأبرار (167). باختصار

وإذَا أَفْلَسَ جَيْبُكَ مِنَ الدُّنْيا؛ فَاحْذَرْ أَنْ يُفْلِسَ قَلْبُكَ مِنَ **الدِّيْنِ واليَقِيْن**! وكَمَا تَسْعَى إلى تَحْصِيْلِ الدُّنيا؛ فَلا تَغْفَلْ عَنِ الآخِرَة! ﴿**وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقى**﴾. قال أَنَسٌ رضي الله عنه: (**كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَبِيِّ** ﷺ: "**اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وقِنَا عَذَابَ النَّار**")[23].

******

* **اللَّهُمَّ** أَعِزَّ الإِسْلامَ والمُسْلِمِينَ، وأَذِلَّ الشِّرْكَ والمُشْرِكِيْن.

* **اللَّهُمَّ** ارْضَ عَنِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِيْن، الأَئِمَّةِ المَهْدِيِّين: أَبِي بَكْرٍ، وعُمَرَ، وعُثمانَ، وعَلِيّ؛ وعَنْ بَقِيَّةِ الصَّحَابَةِ والتابعِين، ومَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إلى يومِ الدِّين.

* **اللَّهُمَّ** فَرِّجْ هَمَّ المَهْمُوْمِيْنَ، وَنَفِّسْ كَرْبَ المَكْرُوْبِين، واقْضِ الدَّينَ عن المَدِيْنِين.

* **اللَّهُمَّ** آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وأَصْلِحْ أَئِمَّتَنَا وَوُلَاةَ أُمُوْرِنَا، وَوَفِّقْ (وَلِيَّ أَمْرِنَا وَوَلِيَّ عَهْدِهِ) لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَخُذْ بِنَاصِيَتِهِمَا لِلْبِرِّ والتَّقْوَى.

* **عِبَادَ الله**: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾.

* **فَاذْكُرُوا اللهَ** يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوْهُ على نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ ﴿**وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**﴾.

.....

قناة الخُطَب الوَجيْزَة
https://t.me/alkhutab

[23] رواه البخاري (6026).